قصة أصحاب الجنة: آداب وأحكام وهدايات
(سورة القلم أنموذجًا)

دكتورة/ وفاء بنت دخيل الله الخطابي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك- قسم الكتاب والسنة
كلية الدعوة وأصول الدين-جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتناول هذا البحث قصة أصحاب الجنة: آداب وأحكام وهدايات كما تصورها سورة القلم، دراسةً للقصة وبيانًا لها، واستنباطًا لأهم ما اشتملت عليه من الآداب والأحكام والعبر والعظات والهدايات، ويعد أسلوب القصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله تعالى، وهو من أقوى الأساليب التي أولاها القرآن عناية خاصة، لأنها تساعد على ترسيخ العبرة في النفس، لاشتمالها على عنصر التشويق والتصوير البديع، إضافة لما فيها من مجالات الاتعاظ والاعتبار، ويهدف البحث إلى عرض وتصوير القصة كما وردت في القرآن، وإبراز أهم الآداب التي اشتملت عليها القصة، وبيان الأحكام التي اشتملت عليها القصة، واستنباط الهدايات والفوائد والعبر والعظات من الآيات، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أن القصة في القرآن أسلوب دعوة ووسيلة إصلاح للعقائد والقلوب والأعمال والأخلاق، وأن قصة أصحاب الجنة رغم إيجازها بقصر آياتها، إلا أنها حوت معاني ذات دلالات كثيرة وعظيمة.

الكلمات المفتاحية: قصص القرآن- أصحاب الجنة- سورة القلم-الآداب والهدايات.

The Story of the Companions (owners) of the Garden: Etiquettes, Rules, and Guidance
(Surah Al-Qalam as a Model)

Dr. Wafaa bint Dakheel Allah Al-Khattabi
Associate Professor of Tafsir and Quranic Sciences - Department of Hadith and Sunnah - College of Dawah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia

ABSTRACT:

This research explores the story of the Companions of the Garden as depicted in Surah Al-Qalam. It is a study and analysis of the story, highlighting its etiquettes, rules, lessons, admonitions, and guidance. The narrative style is one of the most prominent Quranic methods used to call people to Allah, and it is one of the most powerful techniques that the Quran emphasizes, as it helps solidify emotions through its elements of suspense and exquisite imagery. Additionally, it encompasses areas of reflection and contemplation. The aim of this research is to present and depict the story as mentioned in the Quran, to underscore the key etiquettes embodied in the story, to elucidate the rules embedded within it, and to extract the guidance, benefits, lessons, and admonitions from its verses. One of the notable findings of this research is that the Quranic storytelling is a method of invitation and a means of reforming beliefs, hearts, actions, and ethics. Despite the brevity of its verses, the story of the Companions of the Garden carries profound and significant meanings.

Keywords: Quranic Stories - Companions of the Garden - Surah Al-Qalam - Etiquettes and Guidance.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ... وبعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن، وجعله هدى للناس ونورًا مبينًا، وأودعه سبحانه من الحِكم والأحكام، والعلوم والأسرار، والعبر والعظات، والأوامر والزواجر، والقصص والأمثال، ما يحقق الهداية، ويوصل الرسالة للبشرية جمعاء.

وقد تنوعت أساليب القرآن في الدعوة إلى الله بين وعد ووعيد، وأمر ونهي، وحوار وجدل، وقصةٍ ومثل، كل ذلك لتيسر على النفس تلقيه، والإيمان به، وفهمه والعمل به، والامتثال لأوامره، والبعد عن زواجره والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه.

ويعد أسلوب القصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله تعالى، نجده بارزًا واضحًا في آيات الكتاب العزيز، في الطوال والمئين، والمفصل والقصار، بل هو من أقوى الأساليب التي أولاها القرآن عناية خاصة، لأنها تساعد على ترسيخ العبرة في النفس، لاشتمالها على عنصر التشويق والتصوير البديع، إضافة لما فيها من مجالات الاتعاظ والاعتبار.

وقد أمرنا الله تعالى بتدبر القرآن والتفكر فيما حواه من قصص وأمثال، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

فالتفكر والتدبر من أهم مقاصد نزول القرآن العظيم، إذ به تستنبط الأحكام وتستخرج الآداب وتستنتج الهدايات، وتتكشف أسرار الكتاب العزيز، وتتحقق بركته، ويتبين إعجازه وبيانه.

ومن هنا جاء هذا البحث:"قصة أصحاب الجنة: آداب وأحكام وهدايات. (سورة القلم أنموذجًا)" دراسةً للقصة وبيانًا لها، واستنباطًا لأهم ما اشتملت عليه من الآداب والأحكام والعبر والعظات والهدايات.

أسباب اختيار الموضوع: من أسباب اختيار الموضوع ما يلي:

- التقرب إلى الله تعالى بخدمة كتابه العزيز.
- بيان الدروس المستفادة من القصة والتنبيه على الآداب والأحكام المستنبطة منها.

أهداف البحث: يهدف البحث للكشف عن:

- عرض وتصوير القصة كما وردت في القرآن.
- أهم الآداب التي اشتملت عليها القصة.
- الأحكام التي اشتملت عليها القصة.
- الهدايات والفوائد والعبر والعظات من الآيات.

أهمية الموضوع: تتمثل أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- خدمة القرآن الكريم، بدراسة وبيان إحدى القصص التي ساقها، ونبه عليها، وأشار لما فيها من مواطن العبرة.
- الإصلاح الديني عن طريق ربط واقع الناس اليوم بالنص القرآني.
- تحقيق التدبر والتفكر المأمور به شرعًا، للوصول إلى الاستفادة الحقيقية من القرآن.

منهج البحث: اتبعتُ في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، واتبعته بمجموعة من الإجراءات على النحو الآتي:

- عرض الآيات الخاصة بالقصة.
- بيان دلالات الآيات من مصادر التفسير الأصلية المعتبرة.
- ذكر الراجح من أقوال المفسرين في حال تعدد الأقوال واختلافها.
- عزو الآيات إلى سورها في صلب البحث.
- إذا كان هناك حديث صحيح يعزز معنى الآية فإني أذكره مع بيان الشاهد منه.
- الاعتماد على أهم المصادر المتعلقة بالتفسير، وفي مقدمتها جامع البيان لابن جرير، والجامع لأحام القرآن للقرطبي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وغيرها.
- عزو الأحاديث إلى مظانها من كتب السنة دون التزام التخريج من جميع المظان، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت عليه، فما كان في غيرهما ذكرت حكمه، وما كان في غيرهما ذكرت حكم العلماء عليه، كالألباني في تصحيح السنن الأربعة وتضعيفها.
- الاختصار في ذكر معلومات المصادر في الهامش، اكتفاءً بورودها كاملة في فهرس المصادر والمراجع.
- الاستعانة ببعض الدوريات والمجلات والمواقع العلمية المعتمدة.

- وضع لفظة (انظر) عند الإحالة إلى ما استفيد من معلومات من المصادر بتصرف مني فيها، أما عند الاقتباس فإني اذكر المصدر مباشرةً.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث، وجدت أنه لم يسبق أن تعرض باحث لقصة أصحاب الجنة بالدراسة، وأغلب ما وجدته حول القصة عبارة عن محاضرات أو خُطب أو مقالات، تسرد القصة أو تفسر آياتها ضمن آيات سورة القلم.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:.

المقدمة : وتشتمل على تعريف بالموضوع، إضافة لأسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: حول قصص القرآن الكريم.

وفيه بيان لمعنى القصص في اللغة، والمراد بالقصص القرآني، وأنواع القصة في القرآن، وأهم خصائصها، والحكمة منها وفوائدها.

المبحث الثاني: حول سورة القلم .

ويتضمن الحديث عن مقدمات السورة من حيث نوعها وعدد آياتها وأسمائها وفضلها وما اشتملت عليه من موضوعات والوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بغيرها.

المبحث الثالث: قصة أصحاب الجنة.

ويتضمن عرض آيات القصة مع بيان الصلة بين القصة وموضوع السورة، والمعنى الإجمالي للقصة، وتفسير آياتها تفسيرًا تحليليًا.

المبحث الرابع: الآداب والهدايا والأحكام المستفادة من القصة. ويتضمن الآداب والهدايات والأحكام المستفادة من القصة عمومًا، إضافةً إلى الآداب والأحكام الخاصة المستنبطة من كل آية من آيات القصة على حدة.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: حول قصص القرآن الكريم

معنى القصة:

في اللغة: القص: تتبع الأثر، وكذلك القصص، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (الكهف: ٦٤)، أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به، ومثله: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ (القصص: ١١)، أي : تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه[١]، والقصص: الأخبار المتتبعة[٢].

وقص الخبر: أورده [٣] .

والقصة: الأمر، والحديث، والخبر، والجملة من الكلام [٤].

في الاصطلاح: القصة الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضًا.

وقصص القرآن : أخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة[٥]، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى منهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[٦] .

أنواع القصص القرآني[٧]:

القصة في القرآن على ثلاثة أنواع كما يظهر ذلك من التعريف:

الأول: قصص الأنبياء: كقصة نوح، وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، وتتضمن الحديث عن بعثتهم وإرسالهم إلى أقوامهم، ومعجزاتهم التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف أقوامهم من الدعوة، وعاقبة أهل الإيمان وأهل الكفر والضلال.

الثاني: قصص تتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، وأصحاب الأخدود، ومريم، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأصحاب السبت، وأصحاب الجنة وغيرهم.

الثالث: قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ، كأخبار الغزوات، وحادثة الإسراء والمعراج، وحادثة الإفك ... وغيرها.

أهمية القصة في القرآن الكريم:

تعد القصة عمومًا من أقوى الوسائل التربوية، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا في الإنسان، لذلك" كانت القصة مدخلًا طبيعيًا لأصحاب الرسالات والدعوات، والهداة،

(١) لسان العرب، لابن منظور (٧٤/٧).
(٢) المفردات، للأصفهاني (٦٧١).
(٣) لسان العرب (٧٤/٧).
(٤) مباحث في علوم القرآن، للقطان (ص٣١٦).
(٥) المصدر السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) انظر: مباحث في علوم القرآن، للقطان (٣١٧)، دراسات في علوم القرآن الكريم ، للرومي ص(٦٠٧).

والقادة، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراء، ومعتقدات، وأعمال ... "[1].

وتبرز أهمية القصة في القرآن في الآتي[2] :

١- نسبتها إلى الله تعالى، كما في قوله عزوجل:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (القصص: ٣).

٢- الأمر الرباني للرسول ﷺ باستخدام هذا الأسلوب في الدعوة ، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

٣- القصة في القرآن وسيلة لتوضيح الحقائق وكشف الشبهات: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (النمل: ٧٦).

٤- القص من مهمات الرسل عمومًا في الدعوة والتبليغ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ (الأنعام : ١٣٠).

۞ مزايا وخصائص القصص القرآني:

- القصص القرآني هو أصدق القصص، فكله حق لأن مصدره الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ (آل عمران : ٦٢)، فقصص القرآن حق، وحقيقة لا خيال.
- القصص القرآني أحسن القصص، لشرف غرضه وموضوعه، قال تعالى: ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (يوسف: ٣).
- القصص القرآني أنفع القصص؛ لقوة تأثيره في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، قال تعالى:﴿ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف:١١١).
- القصص القرآني معجز؛ لأنه كلام الله تعالى، فهو تابع للقرآن في خصائصه، وإنما وظيفة الرسول ﷺ البلاغ، كما قال سبحانه:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾(النجم : ٣-٤).
- القصص القرآني موجز، ويظهر ذلك في اختيار الألفاظ القليلة ذات المعاني والدلالات الكثيرة؛ لأن التركيز فيها على الهدف والغاية والنتيجة، وليس سرد التفاصيل الدقيقة.
- موضوعات القصص القرآني شاملة ومتنوعة، تتناول العقائد والعبادات والأخلاق والآداب الاجتماعية وغيرها.

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص(٧).

(٢) انظر: مقدمة في علوم القرآن (القصة) .

- يمتاز القصص القرآني بروعة الوصف والتصوير لأحداث القصة وشخصياتها، واختيار المفردات المعبرة عن المواقف المختلفة، فيصور الحدث وكأنه واقع فعلًا، ويهيئ الأسباب لكي ينفعل القارئ مع الحدث، ويعيشه، ويراه أمامه كمشهد حي ناطق، وليس مجرد صورة جامدة لا روح فيها، بل يعيش القصة بأحداثها وكأنه فرد منها.
- في القصص القرآني تحديد الشخصيات والمسميات أو الأماكن غير مقصود، ولا تذكر إلا في مواضع معينة، حين يقتضى المقام ذكرها، لأن المراد التركيز على الحدث، لذلك لا يصرح القرآن بالأسماء والمسميات إلا في قصص معينة، كالأنبياء، أو من اشتهر بالطغيان والعصيان كفرعون وهامان وقارون، وقد يُعرِّض القرآن ببعض الأشخاص والأماكن كـ (رجل) أو (قرية).
- يبرز الحوار في القصص القرآني كخصيصة واضحة لاسيما في قصص الأنبياء وحوارهم مع أقوامهم، ومثله الحوار بين الله تعالى والملائكة، وبين الله تعالى وآدم عليه السلام، وبين الملائكة والإنسان، والإنسان والشيطان، أو الإنسان والحيوان، وفائدة هذا الحوار هو الوصول للإقناع العقلي عن طريق مخاطبة العقول وطرح السؤال وعرض الأدلة، لاسيما في قضايا الإيمان والعقيدة.
- يمتاز القصص القرآني بتنوع الصيغ والأساليب والوسائل، في أول القصة ومقدمتها وعرض أحداثها، ثم خاتمتها، بما يناسب المقام والغرض، وفي ذلك دلالة على إعجاز القرآن وبلاغته.
- القصة في القرآن هادفة، تسعى لاعتبار السامع، وتصحيح العقائد والأخلاق، وتركز على ما يصلح الفرد والمجتمع.
- من أبرز خصائص القصة القرآنية التكرار، فنجد القصة الواحدة تتكرر في أكثر من موضع، بأكثر من أسلوب، بين الإيجاز والإطناب، والإجمال والبيان، وللتكرار فوائد وحكم عديدة منها:

١- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها، أبلغ في التحدي والإعجاز.

٢- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يختلف عن الآخر وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام.

٤- اختلاف الغاية التي تُساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معانٍ أخرى في مقام آخر، حسب أهداف السورة وأغراضها(١).

مقاصد القصص القرآني وأغراضه: القصة في القرآن ليس غرضها مجرد السرد التاريخي للأحداث، أو نظم رواية من أجل المتعة والتسلية، إنما المراد تحقيق هدف ينسجم مع هدف القرآن الأعظم، ورسالته السامية وهو الوصول لهداية الخلق من خلال الاتعاظ والاعتبار بذلك القصص، وقد نص القرآن على هذا المقصد والغرض فقال عزوجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف: ١١١).

- تأكيد منهج الدعوة إلى الله تعالى واستمرار هذا المنهج، وبيان المبادئ الأساسية التي يقوم عليها، من الإيمان بالله، والدعوة للتوحيد، والتحذير من الشرك والكفر، ومحاربة الظلم، ونشر الفضيلة، ومنع الرذيلة، وهو مضمون دعوة الأنبياء عمومًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء :٢٥).

- تثبيت قلب النبي ﷺ، وقد نص القرآن عل هذا المقصد في قوله سبحانه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود : ١٢٠). فكلما ضاق الأمر واشتد على النبي ﷺ، أخبره ربه بما جرى للأنبياء من قبله، فيثبت ويصبر وتقوى عزيمته على الدعوة والبلاغ.

- تأكيد صدق الأنبياء السابقين، وإحياء ذكرهم وتخليد آثارهم، فالقرآن يصرح برسالتهم ونبوتهم، وأسمائهم، ويشهد لهم بالصدق وتبليغ الدعوة، بما لا يدع مجالًا لأحدٍ للشك في نبوتهم ورسالتهم ودعوتهم.

- إظهار صدق الرسول ﷺ، من خلال نقله عليه السلام لتلك القصص، كما وقعت وكما يعلمها أهل الكتاب والعلم، مع كونه ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب؛ ولم يأخذ من أهل الكتاب ولم يجالسهم، فدل ذلك على أن تلقيه لتلك الأخبار إنما كان من الله تعالى عن طريق الوحي.

(١) مباحث في علوم القرآن، ص(٣١٨-٣١٩) . وانظر : دراسات في علوم القرآن، للرومي ص(٦١٢ ، ٦١٣) .

- مقارعة أهل الكتاب بالحجة والبرهان فيما كتموه من الحق والهدى والبينات، وكشف تحريفهم وتبديلهم.

المبحث الثاني: حول سورة القلم

نوعها: السورة مكية . كما هو عند أكثر المفسرين، ومن تأمل آياتها جزم بأن السورة مكية، لما فيها من خصائص السورة المكية.

آياتها: اثنتان وخمسون آية. قال أبو عمرو الداني: "وهي خمسون وآيتان في جميع العدد، ليس فيها اختلاف"[(١)] .

أسماؤها:

اسمها التوقيفي: سورة القلم: وبذلك عرفت في بعض المصاحف وكتب التفسير والسنة. ووجه تسميتها بالقلم لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به وهو: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[(٢)] . فأقسم سبحانه بالقلم تعظيمًا له، ولله تعالى أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، ولا يجوز للإنسان أن يقسم إلا بالله تعالى، وقسمه بغيره شرك.

أسماؤها الاجتهادية:

تُسمَى بسورة (ن)، وسميت بهذا الاسم في بعض المصاحف، كما عنون بهذه التسمية بعض المفسرين في تفاسيرهم. ووجه تسميتها بـ (ن) كونه الحرف المفرد الذي افتتحت به، كما سميت سورة (ص) وسورة (ق) بالحرف المفرد الذي افتتحت به [(٣)].

وسميت هذه السورة بـ (سورة ن والقلم) [(٤)] كما جاء في كلام ابن عباس رضي الله عنهما:"نزلت سورة ن والقلم بمكة" [(٥)].

مناسبة السورة لما قبلها:

١- اختتمت سورة الملك بالوعيد للكافرين ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾، وافتتحت القلم بالوعيد لهم أيضًا : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٢- لما ذكر الله تعالى في آخر سورة الملك تهديد المشركين بتغوير الماء، ذكر في هذه السورة دليلًا على ذلك، وهو إذهاب ثمر البستان في ليلةٍ بطائف طاف عليه، وهو نار من السماء أحرقته، وهم نائمون، فلم يجدوا له أثرًا.

---

(١) البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني ص(٢٥٢)، وانظر: المحرر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزي ، لعبد الرزاق موسى ص(١٦٩) .

(٢) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري، (٤٧٣)، والتفسير المنير، لوهبة الوحيلي (٤١/٢٩).

(٣) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري ، (٤٧٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٨٩)، وعزاه للنحاس وابن مردويه والبيهقي.

٣- ذكر الله تعالى في سورة الملك أدلة قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأثبت البعث، وهدد المشركين بالعذاب الأليم، وحثهم على الإيمان بالله وحده ونبيه ﷺ ، ثم برأ الله نبيه في مطلع هذه السورة من أباطيل المشركين، ونسبتهم رسول الله ﷺ إلى السحر أو الشعر أو الجنون، وأثنى عليه بالخلق العظيم [١] .

مناسبة أول السورة لآخرها:

بدأت السورة بتبرئة النبي ﷺ مما وصفه به كفار مكة فقال:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾، واختتمت بالإنكار على المشركين في وصفهم النبي ﷺ بالجنون: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾.

محور السورة ووحدتها الموضوعية:

تدور سورة القلم حول إثبات نبوة محمد ﷺ، وردّ الشبهات التي أثارها كفار مكة حول دعوته عليه الصلاة والسلام، ببيان شرفه وكريم أخلاقه، وحسن مناقبه[٢].

موضوعات السورة ومشتملاتها:

١- القسم بالقلم تعظيمًا له لنفي تهم المشركين ومزاعمهم الباطلة، ووصف النبي ﷺ بالخلق العظيم.

٢- تهديد المشركين، وبيان ما أعده الله لهم من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

٣- قصة أصحاب الجنة، لبيان عاقبة من خالف أمر الله تعالى وعصى رسوله.

٤- المقارنة بين المؤمنين والمجرمين، وبيان مصير كل منهم.

٥- الأمر بالصبر، والتحذير من التضجر.

٦- حماية الله تعالى وحفظه لرسوله الكريم ﷺ.

<u>المبحث الثالث : قصة أصحاب الجنة</u>

نص القصة: قال تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم (١٧-٣٣).

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢٩/٤١-٤٢) ، وانظر : تفسير المراغي (٢٩ / ٢٦).

(٢) انظر معالم السور، لفايز السويح (٣٤٤).

المناسبة:

أولًا: مناسبة القصة لموضوع سورة القلم ووحدتها الموضوعية:

سورة القلم جاءت في الثناء على النبي ﷺ وخُلقه، وإظهار علمه، وإثبات رسالته عليه الصلاة والسلام، والامتنان على الناس ببعثته، والتحذير من الكفر به وتكذيبه ومعارضته، لأن بعثته من أعظم النعم على قريش وعلى الناس كافة، وجاءت القصة هنا في التحذير من مقابلة النعم بالجحود والكفر عن طريق ضرب المثل بأصحاب الجنة الذين امتن الله عليهم بالثمر والخير فقابلوا نعمة الله بالكفر والجحود وعزموا على منع حق المساكين فيها، فعاقبهم الله تعالى بأن حرمهم خير جنتهم، وأذهب ثمرها، وأتلف زرعها، وأنزل بهم العذاب في الدنيا على ما عزموا من جحود النعمة ومنع الحق.

من جهة أخرى فإن كل ما يرد في القرآن من قصص ماضية وأخبار غابرة عن السابقين ممن يعلم خبرهم أهل الكتاب أو المشركين، فيه دليل على صدق نبوة محمد ﷺ وإثبات رسالته، وأن هذا القرآن حق من عند الله تعالى.

وقصة أصحاب الجنة خبر مشهور عند قريش فقصها القرآن وأخبر عنها كما تعلمها قريش .

ثانيًا: مناسبة آيات القصة للآيات التي قبلها:

بعد أن نددت الآيات السابقة بالكفار واغترارهم بما أتاهم الله من المال والولد، والذي لأجله جحدوا وكفروا وعصوا وتمردوا ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾، بيّن في هذه الآيات أن حقيقة ما أعطاهم الله من المال والبنين هو الابتلاء والامتحان، لا الإكرام، لينظر هل يشكروا النعمة فيزيدهم، أم يكفروا بها فتكون سببًا للبلاء ونزول الآفات، ومثلهم في ذلك كمثل أصحاب الجنة ذات الزروع والثمار الذين لم يشكروا النعمة ويؤدوا حقها، فعاقبهم الله تعالى وحرمهم ما كانوا فيه من الخير والنعمة(١).

نزول الآيات:

نزلت هذه الآيات على النبي ﷺ وهو في مكة، وقريش تحاربه، وتكفر به، وتعارضه وتكذبه، وتصد الناس عن متابعته، مع ما أنعم به الله عليها من النعم الجسيمة، من بعثة خير الأنبياء إليهم، والإمداد بالمال والولد ، والأمن والدعة ورغد العيش، فأنزل الله تعالى على نبيه هذه الآيات، ليعظ بها قريشًا، ويهددهم بالعقاب الدنيوي ويخوفهم من عذاب الآخرة، ويحذرهم بأنهم إن لم يشكروا الله على نعمه ويؤدوا حقها من الإيمان

(١) انظر: التفسير المنير (٢٩/٥٨).

برسوله ومتابعته، فإن الله تعالى سيذهب عنهم تلك النعم وينـزل مكانها النقم، كما فعل بأصحاب الجنة المشهور خبرهم عند قريش، قال ابن كثير: "هذا مثَل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسمية، وهو بعثة محمد ﷺ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة" [1].

ملخص خبر أصحاب الجنة:

تحكي الآيات قصة قوم عاشوا في غابر الزمان، قريبًا من ضروان من صنعاء اليمن ، كانت لهم مزرعة ورثوها عن أبيهم الصالح، والذي سار فيها قبلهم سيرة صالحة حسنة، بإعطاء الفقراء والمساكين منها وقت الصرام، طاعَة لله تعالى وشكرًا له على النعمة، وأداءً لحق أولئك المحتاجين، لكن أولاده من بعده حادوا عن طريق أبيهم، ولم يمتثلوا سيرته، حيث عزموا على منع الفقراء والمساكين منها، فعوقبوا بذهاب تلك المزرعة، وحرموا خيرها، ومُنِعوا ثمرها بعزمهم منع المساكين منها.

من هم أصحاب الجنة ؟ وأين كانوا ؟

من الملاحظ أن هذه القصة كأغلب قصص القرآن، لم تشر آياتها إلى مكان حدوثها، ولا أسماء الأشخاص الذين تدور حولهم القصة، بل اكتفى بعرض الأحداث والوقائع وتصوير المشاهد التي تلفت النظر إلى المقصود الأعظم من القصة القرآنية وهو العظة والعبرة، ولم تعين السنة كذلك أسماء الأشخاص ولم تحدد مكان وقوع القصة، لأن تحقق المراد من القصة لا يتوقف على معرفة المكان أو الأسماء، إنما يحصل بالتنبه والتأمل والنظر والاعتبار، قال القاسمي: "ليس من ضرورة الاعتبار بالمثل والعظة به، تعيين أهله"[2]، وقد ذكر أهل التفسير عدة أقوال في تعيين أصحاب الجنة ومكانها ومن ذلك: قيل: إنهم أناس من أهل الكتاب، قاله ابن عباس[3].

وقيل: إنهم ناس من الحبشة. قال عكرمة [4]. أي كتابيون، فيتفق قوله مع قول ابن عباس، وقيل :إنهم ناس من اليمن بضروان بالقرب من صنعاء، قاله السدى[5].

وهذا الذي عليه أكثر المفسرين، فالأكثر على أنهم ناس من اليمن بالقرب من صنعاء، وقد اشتهر خبرهم عند قريش، ولذا ضرب الله بهم المثل [6].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٠٦/٤).
(٢) محاسن التأويل (١٠/٧).
(٣) جامع البيان (١٨٩/١٢)، محاسن التأويل (١٥٩/٧) .
(٤) جامع البيان (١٨٩/١٢)، ومحاسن التأويل (١٥٩/٧).
(٥) بحر العلوم (٣/ ١٣٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٥٦).
(٦) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٢٣/٦).

التفسير والبيان:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾،أي: مشركي مكة، اختبرهم الله تعالى بهذا التنزيل الحكيم، وبعثة خير المرسلين، وبما أمدهم به من المال والولد، ليشكروا نعمة الله فيتبعون رسوله، فجحدوا وكذبوا وبطروا: فأنزل الله تعالى بهم البلاء.

وللمفسرين في تعيين البلاء قولان:

الأول: أنه ما أصابهم من القحط والجوع لما دعا عليهم النبي ﷺ:[1] "اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فأصابهم الجوع حتى أكلوا العلهز"[2]. وهو قول الأكثر كما ذكر ذلك ابن عطية.[3]

الثاني: أنه ما أصابهم يوم بدر[4]، قال ابن عباس:"هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلن محمداً ﷺ وأصحابه، وليرجعن إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضرب القينات على رؤوسهم، فأخلف الله ظنهم، وأُسروا وقُتلوا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا"[5]، قال القرطبي:"وقيل: السورة مكية، فيبعد حمل الآية على ما أصاب أهل مكة من القحط وعلى قتال بدر"[6].

وعليه فالأولى أن يكون المراد بـ (بلوناهم) ما ابتلاهم الله تعالى به من النعم والإمداد بالمال والولد، ويدل على ذلك ويؤيده أن الآيات السابقة فيها إشارة إلى المال والبنين، واللذين كانا من أسباب بطر هؤلاء الكفار وطغيانهم.

والمقصود اختبار أهل مكة، لمعرفة حالهم، أيشكرون نعم الله عليهم، فيؤمنون بالرسول، أم يكذبونه ويكفرون برسالته، فيُجازوا بما يستحقونه، كما جوزي أصحاب الجنة[7] .

﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾، شبه الله تعالى حال أهل مكة فيما ابتلاهم به من صنوف النعم التي لم يقوموا بحقها، بقصة أصحاب الجنة المعروف خبرهم عند قريش، وذلك أنها كانت جنة بأرض اليمن، ذات زروع ونخيل وثمر، لرجل مؤمن صالح، يؤدي حق الله

(١) انظر: بحر العلوم (٢٩٤/٣)، والمحرر الوجيز (٣٥١/٥)، زاد المسير (٣٢٣/٤)، وتفسير أبي السعود (١٤/٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٨)، وفتح القدير (٥/ ٣٦) ، ومحاسن التأويل (١٥٩/ ٧).

(٢) أصل الحديث في البخاري، أبواب الاستسقاء، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، اجعلها عليهم سنين كسني يوسف.

(٣) المحور الوجيز (٣٥١/٥).

(٤) النكت والعيون (٦٧/٦)، وتفسير القرآن، للسمعاني (٢٦/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٥٦).

(٦) المصدر السابق .

(٧) انظر: التفسير المنير (٥٩/٢٩) .

تعالى فيها، فكان إذا حلَّ وقت الصرام، لم يمنع المساكين من دخولها، والأكل منها، فيأخذ قدر قوته ويتصدق بالباقي.

وجاء في القصة: أنه كان يترك للمساكين ماتعداه المنجل، وماسقط من رؤوس النخيل، وما أخطأه القطاف من الثمر، وما بقي على البساط الذي تحت الزرع وقت الحصاد، فكان يجتمع لهم الشيء الكثير.

فلما مات ذلك الرجل وصارت الجنة إلى أولاده، منعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها، وقالوا: المال قليل، والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل ماكان يفعل أبونا، فعزموا على حرمان المساكين، فوعظهم أوسطهم وحذرهم، لكنهم لم يسمعوا ولم ينتفعوا بنصحه، وأصروا على ما عزموا عليه، فصار أمرهم إلى ما أخبر الله تعالى به في هذه الآيات من الحرمان ونزول العذاب [١].

ووجه المشابهة بين حال أهل مكة وحال أصحاب الجنة، يتمثل في أن كلا الطرفين قد منحه الله نعمًة عظيمة، ولكنه قابلها بالجحود وعدم الشكر[٢].

ثم بيّن سبحانه وتعالى طريقة منعهم وكشف عن تآمرهم وعزمهم وسوء نيتهم فقال: ﴿ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾: أي حلفوا ليقطعن ثمرها مبكرين من أول الصباح، وقد بقيت من الليل ظلمة لئلا يعلم بهم المساكين، وليتم صرمها قبل حضورهم، فلا يبقى لهم شيء[٣].

ثم بيّن الله تعالى خطيئتهم، وظنهم التمكن والقدرة على إنفاذ مع عزموا عليه، حتى أنساهم ذلك عزو الأمر إلى مشيئة الله تعالى والاستثناء في خلفهم فقال: ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أي: لا يقولون إن شاء الله، بل عزموا على ذلك عزم من يملك أمره. وعلى هذا القول أكثر المفسرين، واقتصر عليه ابن جرير[٤]، وعزاه ابن عطية لمجاهد.

وقيل: لا يستثنون حق المساكين، قاله عكرمة[٥]، ورجحه القاسمي[٦].

وقيل: استثناؤهم قول: سبحان الله. قاله أبو صالح [٧]، والأول أولى وأظهر.

---

(١) انظر: بحر العلوم (٣٩٤/٣)، وزاد المسير(٣٢٣/٤)، وتفسير أبي السعود (١٤/٩)، وفتح القدير (٣٣٧/٥).
(٢) الوسيط للطنطاوي (١٥/ ٤٨) .
(٣) انظر: زاد المسير (٣٢٣/٤)، محاسن التأويل (١٦٠/٧) .
(٤) انظر : جامع البيان (١٢/ ١٨٩)، والمحرر الوجيز (٣٤٩/٥)، وزاد الميسر (٣٢٣/٤).
(٥) زاد المسير (٣٢٣/٤) .
(٦) انظر: محاسن التأويل (١٦٠/٧) .
(٧) النكت والعيون (٦٧/٦).

فجازهم الله بنـزول العذاب على حين غفلة فقـال: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أي: طرق جنة هؤلاء القوم ليلاً طارقاً من أمر الله وهـم نـائمون[١]، والمعنـى: نزلت بها آفة من السماء أو عذاب من نار أو غيـره ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ أي: حـال سـباتهم وغفلتهم[٢].

وقد وردت عدة أقوال عند المفسرين في تعيين نوع الطائف وكيفية نزوله، ولا دليـل عليها، والآيات لم تعين النوع أو الكيفية، لأنه لا يتعلق بذكره غرض، وإنما المقصود مـا ترتب عليه من آثار توجب الاعتبار[٣].

و﴿ مِّن ﴾، في قوله ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ للابتداء والتقييد بكونه من الله عزوجل لإفادة أنه بـلاء لا قِبل لأحد من الخلق بدفعه[٤].

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: نزل بهذه الجنة عذاب من أمر الله تعالى فاحترقت حتـى أصبحت سوداء كسواد الليل البهيم[٥].

وفي بيان معنى ﴿ كَالصَّرِيمِ ﴾ عدة أقوال[٦]:

قيل: كالرماد الأسود، وقيل : كالليل، والليل هو الصريم. قاله ابن عباس.

وقيل: كالصريم أي :كالصبح، أي: النهار الذي لا شيء فيه، حيث ابيضت كالحصيد. وهو قول سفيان الثوري، وقيل: كالصريم أي : كالشيء الذي صرمت ثماره، أو كالزرع المحصود.

بمعنى: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر، فكأنه قد صُرِم، أي قُطِع وجُـذَّ، وهـو قول ابن قتيبة وعزاه ابن كثير للسدي والثوري.

ثم أكد سبحانه عزمهم على فعلهم وشروعهم في تنفيذ ما أقسموا عليـه وعقـدوا لـه العزم، فقال عزوجل ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾، أي: نادى بعضهم بعضًا في أول الصباح[٧] .

ثم فسر هذا النداء بأنه قول بعضهم لبعض: ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾، أي : اخرجوا بالغداة إلى حرثكم وثماركم وزروعكم ونخلكـم وجـذوها ﴿ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾، أي: قاصدين حصادها وصرمها وقطع ثمارها [٨].

---

(١) جامع البيان (١٢ /١٩٠) .
(٢) المصدر السابق وهو قول ابن عباس.
(٣) الوسيط للطنطاوي (١٥ / ٤٨) .
(٤) المرجع السابق .
(٥) انظر: جامع البيان (١٢/١٩٠) .
(٦) انظر: جامع البيان (١٢/١٩٠)، وتفسير القرآن (٢٤/٦)، والمحرر الوجيز (٣٤٩/٥)، وزاد المسير (٣٢٣/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠٦)، وفتح القدير (٣٣٧/٥).
(٧) انظر : جامع البيان (١٢/١٩١).
(٨) انظر: جامع البيان (١٢/١٩١)، وزاد المسير (٣٢٣/٤)، والنكت والعيون (٦٨/٦)، وفتح القدير (٣٣٧/٥)، ومحاسن التأويل (١٦١/٧) .

وقيل : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ أي : ماضين في العزم على منع المساكين .[١]

﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾أي: ذهبوا إلى جنتهم وهم يتشاورون بكلام خفي، يسرونه بينهم لئلا يعلم أحد بهم [٢].

قال ابن جرير:"مضوا إلى حرثهم وهم يتسارّون بينهم"[٣]، وكان هذا التخافت خوفًا من أن يشعر بهم مسكين[٤]، وقيل في معنى الآية:﴿ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾، أي: يخفون أنفسهم عن الناس حتى لا يروهم[٥]، والأول أولى[٦] .

ثم فسّر تخافتهم بأي شيءٍ كان فقال: ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ أي: لا تتركوا المساكين يدخلون عليكم[٧].

والمعنى: "يُسِرُّ بعضهم إلى بعضٍ هذا القول، وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين، فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم"[٨]، وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد الصرام[٩] .

قال القرطبي: "قيل: الحق الذي منعه أهل الجنة المساكين يحتمل أن يكون واجبًا عليهم، ويحتمل أن يكون تطوعًا، والأول أظهر "[١٠].

ووجه ذلك: أن العقاب إنما يكون على ترك الواجب، أما التطوع فلا يعاقب الله عليه، لذا رجح القرطبي الأول، ويحتمل أن يكون العقاب جزاء كفر النعمة وجحودها لا ترك التطوع، وهو ذنب يُعاقب به العبد، لا سيما والآيات في تهديد الكفار وتخويفهم بعد أن بين في آيات سابقة أن سبب الكفر والجحود من أهل مكة هو ما أمدهم الله به من المال والولد والنعم، والله أعلم .

ثم وصف حالهم في سيرهم فقال: ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾: أي: غدوا على جنتهم على نشاطٍ وسرعةٍ وجدٍّ وقدرةٍ من أمرهم، أو على منعٍ وغضب[١١].

---

(١) انظر : المحرر الوجيز (٣٥٠/٥)، وفتح القدير (٣٣٧/٥)، ومحاسن التأويل (١٦١/٧).
(٢) انظر: بحر العلوم (٣٩٤/٣)، والمحرر الوجيز (٣٥٠/٥)، وتفسير أبي السعود (٩/ ١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠٦)، وفتح القدير (٣٣٧/٥).
(٣) جامع البيان (١٩١/١٢).
(٤) المحرر الوجيز (٣٥٠/٥).
(٥) انظر: النكت والعيون (٦/ ٦٨)، وفتح القدير (٣٣٨/٥).
(٦) قاله الشوكاني: فتح القدير (٣٣٨/٥).
(٧) تفسير القرآن (٢٤/٦).
(٨) فتح القدير (٣٣٨/٥).
(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٨ /١٥٨).
١٠) المصدر السابق.
(١١) محاسن التأويل (١٦١/٧) .

وجاء في بيان معنى ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ عدة أقوال منها[١]:

قيل: ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾، أي على قدرةٍ وجدٍّ. وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة، كذا هو عند أكثر المفسرين.

وقيل ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ على أمر قد أجمعوا عليه بينهم وأسروه في أنفسهم. قال مجاهد وعكرمة .

وقيل: ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ على قصدٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ على صنعٍ . قيل : على غضب.

قال ابن جرير: " والذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ أي : غدوا على أمرٍ قد قصدوه واعتمدوه وأسروه بينهم"[٢]، ﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: موقنين بأنهم قادرون على تنفيذ ماعزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين[٣]. لأنهم اتخذوا جميع وسائله، من العزم والكتمان والتبكير، والبعد عن أعين المساكين[٤].

ثم صور سبحانه وتعالى حالهم تصويرًا بديعًا عندما شاهدوا جنتهم وقد صارت كالصريم فقال عز وجل : ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾، أي : فلما وصلوا إلى جنتهم ووجدوها على غير الصفة التي عهدوها، وشاهدوا ما حل بها من الآفة التي أذهبت ما فيها، وكيف تبدلت من الخضرة والنضرة والزهرة إلى السواد والعدم، اعتقدوا أنهم ضلوا وأخطأوا الطريق إليها فقالوا :﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: قد ضللنا طريق جنتنا، وسلكنا إليها غير الطريق، فتهنا عنها. فلما تأملوا وتحققوا أدركوا أنها جنتهم، وعلموا أن الله قد عاقبهم على ما عزموا عليه بالحرمان والذهاب فقالوا إضرابًا عن قولهم الأول:﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ أي: لسنا ضالين، بل هي هذه، لكن نزل بها العذاب وحرمنا ثمرها وخيرها ونفعها وبركتها وحرثها بعزمنا مع المساكين من فضلها وخيرها وغلتها، وتركنا الاستثناء، فجنينا على أنفسنا[٥].

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أوسطهم أي: أعدلهم[٦]. وهو خيرهم قولًا وخُلُقًا وعقلًا.[٧]

---

(١) انظر : جامع البيان (١٢/ ١٩١)، والنكت والعيون (٦٨/٦)، وزاد المسير (٣٢٣/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٦/٤)، وفتح القدير (٣٣٨/٥).

(٢) جامع البيان (١٩١/١٢).

(٣) محاسن التأويل (١٦١/٧).

(٤) الوسيط للطنطاوي (١٥/ ٥٠).

(٥) انظر: جامع البيان (١٢/ ١٩٢)، وتفسير البغوي (٥ / ١٣٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠٦)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، ومحاسن التأويل (١٦١/٧).

(٦) وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك كما عند ابن جرير الطبري (١٩٢/١٢)، وعزاه ابن كثير (٤٠٦/٤) لعكرمة ومحمد بن كعب والربيع مع من ذكرهم ابن جرير.

(٧) المحرر الوجيز (٣٥٠/٥).

﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾: أي : هلا تستثنون عند قولكم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾. والمعنى: هلا قلتم إن شاء الله. قاله مجاهد والسدي و أبو صالح وعكرمة وهو قول الجمهور وعليه أكثر المفسرين.

واقتصر عليه ابن جرير الطبري، ورده ابن عطية وقال: ويرد عليهم قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ ﴾ بادر القوم وتابوا وسبحوا واعترفوا بذنبهم[١]، قال السعدي :" لولا تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إن شاء الله، وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله لما جرى عليكم ما جرى "[٢].

وجاء في معنى الآية: ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أي: هلا تسبحون الله وتذكرونه وتشكرونه على ما أعطاكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم، وتؤدوا حق الله عليكم[٣].

واختاره ابن عطية وقال: ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ عبارة عن طاعة الله وتعظيمه والعمل بطاعته[٤].

وفي قوله : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ دليل على ماورد في القصة من أن أوسطهم وعظهم حين عزموا على عزيمتهم الخبيثة، فعصوه، فعيرهم هنا [٥].

وكعادة الكثير من الناس والذين لا يقدرون النعمة إلا بعد ذهابها وزوالها وفوات الأوان: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أي: بادر القوم فنزهوا الله وعظموه وتابوا واعترفوا بالذنب[٦].

والمعنى : تنزيها لله تعالى أن يكون ظالمًا فيما صنع بجنتنا، فإن ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه.

وقيل: معنى تسبيحهم الاستغفار، أي: نستغفر ربنا من ذنبنا ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾، أي لا نفسنا في منعنا للمساكين [٧].

قال ابن جرير: "﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أي: في تركنا الاستثناء في قسمنا وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا ".[٨]

---

(١) انظر: جامع البيان (١٩٤/١٢)، وتفسير البغوي (٥ / ١٣٨)، وبحر العلوم (٣/ ٣٩٤)، والنكت والعيون (٦/ ٦٩)، والمحرر الوجيز (٦/ ٣٥٠)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨١٥).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ١٣٨)، وبحر العلوم (٣/ ٣٩٤)، والنكت والعيون (٦٩/٥)، وزاد المسير (٦٩/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٧/٤).

(٤) المحرر الوجيز (٣٥٠/٥).

(٥) انظر : فتح القدير (٣٣٩/٥)، ومحاسن التأويل (١٦٢/٧).

(٦) انظر: بحر العلوم (٣٩٤/٣)، والمحرر الوجيز (٣٥٠/٥) .

(٧) فتح القدير (٣٣٩/٥) .

(٨) جامع البيان (١٩٤/١٢) .

قال ابن كثير: "اتوا بالطاعة حيث لا ينفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع، ولهذا قالوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [1]".

وقال السعدي:"استدركوا بعد ما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة " [2].

وكشأن كل من اجتمع على الشر والإثم فقد أخذوا في التلاوم والعتاب قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضًا على تفريطهم في الاستثناء، وعزمهم على منع حق المساكين[3]، والمعنى: يجعل كل واحد اللوم في حيز صاحبه، ويبرئ نفسه[4]، يقول هذا: أنت أشرت علينا، ويقول الآخر أنت فعلت، ثم أجمعوا على أنهم طغوا ونادوا على أنفسهم بالويل ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: متجاوزين حدود الله تعالى في تفريطنا وعزمنا السيء ومنع الفقراء، وترك الاستثناء[5] .

قال ابن كيسان:" طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها أبونا من قبل"[6]. ثم انصرفوا إلى رجاء الله تعالى والرغبة في عفوه وتجاوزه وفضله، وسألوه أن يعوضهم خيرًا منها فقال: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ لما اعترفوا بالخطيئة رجوا من الله تعالى أن يبدلهم جنة خيرًا من جنتهم ببركة التوبة والاعتراف بالذنب. ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ طالبون منه الخير، راجون لعفوه [7] .

وجاء في خبرهم:" قيل: إنهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا: إن أبدلنا الله خيرًا منها لنصعن كما صنع أبوبا، فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهما الله تعالى من ليلتهم ماهو خيرًا منها"[8].

قال ابن مسعود: "إن القوم أخلصوا، وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان "[9] .

قال السعدي: "هم رجوا الله أن يبدلهم خيرًا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحقون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرًا منها، لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه أعطاه سؤله"[10].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٠٧/٤) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨١٥) .
(٣) انظر: جامع البيان (١٩٤/١٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٢٤).
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٣٥١) .
(٥) انظر : محاسن التأويل (١٦٢/٧)، وفتح القدير (٥/ ٣٣٩) .
(٦) فتح القدير (٥/ ٣٣٩).
(٧) انظر : تفسير أبي السعود (٩/ ١٦)، وفتح القدير (٣٣٩/٥) .
(٨) تفسير أبي السعود (٩/ ١٦)، وفتح القدير (٣٣٩/٥) .
(٩) معالم التنزيل (٥/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٩/١٨).
(١٠) تيسير الكريم الرحمن (٨١٥) .

وهذا الذي عليه جمهور المفسرين، أن الله تعالى أبدلهم خيرًا من جنتهم في الدنيا ببركة توبتهم وصدق دعائهم ورغبتهم.

قال القرطبي: " ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ لا أدري إيماناً كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة، فيوقف في كونهم مؤمنين...سُئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ فقال: لقد كلفتني تعبًا. والمعظم يقولون : إنهم تابوا وأخلصوا "[1] .

والذي تدل عليه آيات القصة أنهم كانوا مؤمنين، ولم يكونوا كفارًا، لكنهم بطروا النعمة ومنعوا الحق فاستحقوا العقاب.

ثم نبه الله تعالى كفار مكة وغيرهم إلى موطن العبرة من القصة، تنبيهًا يتخلله التهديد والتخويف فقال سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾: ابتداء مخاطبة للنبي ﷺ في أمر قريش، والإشارة بذلك إلى العذاب الذي نزل بالجنة، وأن مثله ينزل بقريش عقوبة لهم على التكذيب والكفر والجحود. والمعنى: مثل هذا العذاب الذي نزل بأصحاب الجنة في الدنيا، نفعل بكل من تعدى حدود الله تعالى، وخالف الرسل، وكفر وجحد، وبخل بما أتاه الله، ومنع الحق وأفسد في الأرض[2].

قال السعدي:" كذلك العذاب الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب، أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به وبغى، وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه أحوج ما يكون إليه"[3] .

وقال السمعاني:" كما عذبنا هؤلاء وأنزلنا بهم، كذلك نعذب قريشاً وننزله بهم"[4]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي : أعظم وأشد منه، لمن لم يتب ويرجع عن ذنبه. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾أي: لو كان المشركون يعلمون ويفقهون ويصدقون أنه كذلك، لاحترزوا مما يؤدي إليه، ولارتدعوا وتابوا وأنابوا، لكنهم لا يعلمون[5].

والمعنى: لو كانوا من أهل العلم والفهم لعلموا ذلك، ولأخذوا منه حذرهم بالإيمان والعمل الصالح، قال السعدي:" فإن من علم ذلك، أوجب له الإنزجار عن كل سببٍ يوجب العذاب ويحل العقاب"[6].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٥٩) .
(٢) انظر : بحر العلوم (٣/٣٩٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٠٧)، ومحاسن التأويل (٧/١٦٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨١٥) .
(٤) تفسير القرآن ، للسمعاني (٦/٢٦) .
(٥) انظر : فتح القدير (٥/ ٣٣٩) .
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٨١٥) .

المبحث الرابع: الآداب والهدايات والأحكام المستفادة من القصة

المتأمل في هذه القصة وأحداثها ومشاهدها يجدها زاخرة بالآداب والدلالات والأحكام والهدايات التي يحتاجها الناس في حياتهم وفي علاقتهم بربهم وفي تعاملهم مع غيرهم، ومن هذه الآداب والأحكام:

۞ **دلت الآيات على أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه،** قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ (العنكبوت: ٢)، بل الغاية من خلق الإنسان والمقصد من الخلق عمومًا هو الابتلاء والامتحان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(الإنسان: ٢)، وقال عزوجل:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(الملك:٢)، وأقسم عزَّ وجلَّ بأنه سيبلو عباده ويختبرهم، والابتلاء يكون بالشر والخير﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(الأنبياء:٣٥).﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الأعراف:١٦٨).

فيبتلى الله تعالى العباد بالمصائب والجوع والقحط والنقص في القوة والقدرة والمال والأنفس والثمرات كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ﴾ (البقرة : ١٥٥).

ويبتليهم كذلك بالنعمة والخير والفضل والقوة والقدرة والصحة والنصر والتمكين، كل ذلك تمحيصًا وتمييزًا للشاكر من الجاحد، وللمؤمن من الكفار، وللمصدق من المكذب، وللطائع من العاصي، وللصابر من الجازع السَّاخط .

ومن أشد أنواع الابتلاء والامتحان، الابتلاء بالنعمة والفضل والخير والمال، لأن الناس غالبًا ما يغفلون عن هذا النوع، فيراه البعض إكرامًا من الله لهم، أو أنهم حصّلوا ذلك الفضل بقدرتهم وقوتهم، فلا يؤدون حق النعمة الشكر والاعتراف، كما حصل من قارون، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨ ﴾(القصص : ٧٨) .

وكما في قصة أصحاب الجنة هنا، فقد ابتلاهم الله تعالى بالنعمة، وهي ما أمدهم به من المال والخير في الجنة التي آتاهم الله إياها ومافيها من أنواع الزروع والثمار، فظنوا أنهم قادرون على أمرهم متمكنون منه، وأنهم إنما حصلوا ذلك بقوتهم وقدرتهم، وأنهم أحق به من غيرهم.

وكذا أهل مكة الذين ضُرب لهم المثل ابتلاهم الله تعالى بما أمدهم به من المال والولد، فظنوا أنه إكرامًا وفضلًا، ولم يدركوا أنه ابتلاء واستدراج بالنعمة من حيث لا يشعرون.

والابتلاء بالشر أهون من الابتلاء بالخير والنعمة، لأن الإنسان يدرك مباشرةً بنزول المصيبة أو الفقد أنه مبتلى، فيلجأ إلى الله تعالى ويعود إليه، كما حصل من أصحاب الجنة لما رأوا ما نزل بجنتهم، علموا أنه ابتلاء وعقوبة من الله تعالى على ما عزموا عليه من المعصية، فعادوا وتابوا وأنابوا.

أما الابتلاء بالخير والنعمة فهو ابتلاء غير مباشر، لا يوفق لمعرفة حقيقته ويقوم بحقه إلا من وفقه الله تعالى، كما عرف الأب هنا حقيقة هذا الابتلاء فقام بحقه وشكر ربه وأدى حق المساكين فيه، فزاده الله من الفضل والمال، وغفل عنه الأبناء واغتروا، وعزموا على المعصية بمنع الحق فعاقبهم الله بالحرمان والسلب.

فكل صاحب نعمة يجب أن يعلم أنه مبتلى ومختبر من الله في هذه النعمة، وكل خير يتفضل الله به على العباد إنما هو اختيار ليُظهر شكره عز وجل، ويُحسن استخدام النعمة، ويُؤدي حق الله فيها، فإن فعل ذلك فقد أرضى ربه واستحق المزيد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم : ٧).

وقد أشارت القصة إلى الابتلاء بالنعمة والابتلاء بالعقوبة – كما سبق بيانه – ثم نبهت الآيات إلى ما يُرفع به البلاء، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فقد اعترف أصحاب الجنة بالخطيئة وأقروا بالمعصية والإثم، ونزهوا الله تعالى ورغبوا إليه، ورجوا فضله فرفع الله تعالى عنهم البلاء.

ولعل ذلك هو الحكمة في الابتلاء بالشر، وهو الرجوع إلى الله تعالى والتوبة والإنابة، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٤).

❁ **تضمنت القصة الإشارة إلى فضل الصدقة والإحسان والإنفاق**، وأثرها على المال بالبركة والنماء والزيادة، فقد كان الوالد يُخرج من ماله ما ينتفع به المساكين، فكان ذلك سببًا لدوام النعمة واستمرار الزيادة، وحصول البركة، فلما منع الأبناء الفضل وبخلوا بالمال،كان ذلك سببًا لذهاب المال وزواله بالكلية .

فالصدقة والإنفاق سببٌ في حصول الخير ونزول البركة، لذا ورد في نصوص الكتاب والسنة الترغيب في الصدقات، فقد أخبر سبحانه أنه يضاعف لمن أدى حق الله في ماله فقال عز وجل: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦١-٢٦٢)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ

﴿ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ: ٣٩) أي: ما أنفقتموه في وجوه الخير والبر والطاعة، وفيما يحبه الله ويرضاه، فإن ذلك سبب نماء الأموال.

وهذا الإنفاق والإحسان هو من شكر النعمة، وأداء حق الله تعالى فيها، وبه تحفظ النعم وتدوم .

دلت القصة على وجوب شكر النعمة، بأداء حق الله تعالى فيها، وبالشكر تدوم النعم وتزداد، وبالجحود والكفر والمنع تُمحق البركة، ويذهب الفضل، وتزول النعم، ويُحرم الإنسان الخير.

وشكر النعمة هو مفتاح الزيادة وسبب السعادة، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧)، والشكر أمان من عذاب الله تعالى:﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ (النساء : ١٤٧). قال قتادة:"إن الله لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا"[(١)].

وفي الشكر امتثال لأمر الله تعالى في قوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (البقرة : ١٥٢).

والشكر خُلق الأنبياء ودأب الصالحين وسمة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإسراء : ٣) .﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢١).

وقال ﷺ : "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ"[(٢)]، وشكر النعمة يكون بالاعتراف بها ومعرفتها وإدراك أنها نعمة من الله تعالى، وبالإقرار والإيقان بأن الله تعالى هو المنعم والمتفضل بها، قال تعالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل : ٥٣) .

قال السعدي:"الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه، فذلك كافر ليس معه من الدين شيء، ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه، وعمله، وإلى سعي غيره، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك، ولا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا "[(٣)].

فلا ينسب الإنسان النعمة إلى نفسه وجهده وعلمه واجتهاده، كما فعل قارون لما قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ فسلبه الله النعمة وكانت سببًا في هلاكه: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ

(١) جامع البيان (٤/ ٣٣٨).
(٢) صحيح مسلم،باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥)، رقم(٢٩٩٩).
(٣) القول السديد في مقاصد التوحيد (١٤٠) .

﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾، وقد بين سبحانه حال من يجحد النعمة ولا ينسبها لله تعالى فقال: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ (النحل : ٨٣).

قال ابن كثير:"أي: يعرفون أن الله هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره"(١).

- **الثناء على الله تعالى المنعم بها، وظهور ذلك على لسانه ثناء وشكرًا واعترافًا**، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى :١١)، وعلى جوارحه طاعةً وانقيادًا، قال تعالى :﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ (٢) .

- أداء حق الله تعالى فيها، ثم أداء الحقوق الواجبة، ثم يعلم الإنسان أن لإخوانه كذلك حق عليه. وحق الله تعالى يكون بشكره سبحانه وأداء ما أوجبه عليه من الزكوات والنذور وغيرها، أما الحقوق الواجبة فهي كنفقة من يعولهم، ثم يعلم أن للمسلمين عليه حقًا يحقق التكافل بين أفراد الأمة.

دلت القصة على أن العزم على المعصية مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم .

فالعزم الصادق والقصد وعقد النية والإقبال على المعصية والهمّ بفعلها، من الإثم الذي يستحق صاحبه العقاب، حتى وإن لم يتمكن من الفعل والمباشرة، لأنه لما كان العزم قائمًا على المنع والنية معقودة على الفعل، كان ذلك عملاً من أعمال القلوب التي استحقوا بها نزول العذاب قبل المعصية وتنفيذها . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحج: ٢٥).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال:"إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه "(٣).

ولا يعارض ذلك قوله ﷺ في الحديث القدسي:"من همّ بسيئة فلم يعملها، كتب الله له عنده حسنة كاملة"(٤)؛ لأن هذا الحديث في حق من عزم على المعصية ثم تركها خوفًا من الله تعالى، فتنقلب بفضل الله تعالى حسنة، أما من عزم على المعصية ثم لم يفعلها عجزًا فهذا ثابت في حقه الإثم الموجب للعقاب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٥) .

(٢) انظر : مدارج السالكين (٢/٢٤٤) .

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفهما ، حديث (٧٠٨٣) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من همّ بحسنة أو سيئة ، حديث (٦٤٩١) .

وأصحاب الجنة عزموا على الفعل مع اعتقادهم التام على القدرة على إنفاذ ما عزموا عليه، ولذلك آخذهم الله بذلك العزم وعاقبهم، فهم إنما عجزوا عمّا عزموا عليه، ولم يتركوه اختيارًا أو خوفًا من الله تعالى.

دلت القصة على وجوب التأدب مع الله تعالى بالاستثناء وعدم الجزم بالفعل في قوله: ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾، فأنكر الله عليهم جزمهم على الفعل، واعتقادهم القدرة عليه، وزعمهم التمكن منه، حتى أنهم لم يقيدوا ذلك بمشيئة الله وقدرته، فلم يستثنوا في ما عزموا عليه بقول: إن شاء الله.

والاستثناء أدبٌ أرشد الله تعالى له نبيه الكريم في قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤).

قال السعدي: "هذا النهي كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجهًا للرسول، فإن الخطاب عام للمكلفين، فنهى الله العبد أن يقول في الأمور المستقبلة ﴿ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو الكلام على الغيب المستقبل الذي لا يدري، هل يفعله أم لا ؟ وهل تكون أم لا ؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالًا، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله" (١).

فينبغي لكل من أخبر عن أمرٍ ينوى فعله مستقبلًا أن يقول: إن شاء الله، تأدبًا مع الله تعالى، وبُعدًا عن الجزم بالقدرة على الفعل والتمكن منه، إلا بإذن الله ومشيئته سبحانه، فمشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى كما قال عزوجل : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (التكوير: ٢٩) .

ومما يدل على علو شأن هذا الأدب وأهميته أن الله تعالى استثنى في كلامه فقال عزوجل:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (الفتح :٢٧) .

وهو أدب امتثله الأنبياء والصالحون، كما قال سبحانه حكاية عن إسماعيل: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٠٢) .

وقال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾(الكهف: ٦٩).

وقال يوسف: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف : ٩٩) .

والتزام هذا الأدب مع الله تعالى يجلب الخير للعبد، من تيسير أموره، وحصول البركة فيها، فإن تركه نسياناً قد يتسبب في تأخير حصول المطلوب، كما حصل للنبي ﷺ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٤).

حين سأله اليهود عن خبر الفتيه، فقال أخبركم غدًا، ولم يستثنِ، فاحتبس الوحي عنه حتى شق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ (الكهف : ٢٣-٢٤).

فأمره بالاستثناء، فإن نسيه، فإنه يستثني إذا ذكره، فكيف بمن يتركه عمدًا وثقةً واغترارًا بالقدرة والقوة؟! .

فالواجب على من عزم على أن يفعل أمرًا مستقبلًا، أن يقول: إن شاء الله تأدبًا مع الله، وامتثالًا لأمره سبحانه، واقتداءً بسيرة الأنبياء والصالحين.

دلت القصة على أن الأمن من مكر الله تعالى واستدراجه للعبد، هو جهل بالله وقدرته، وعُجب بالنفس يحمل على إيثار الدنيا ونسيان الآخرة، فقد أحكم أصحاب الجنة الخطة، وتحرزوا أشد الاحتراز، لكنهم غفلوا عن أن الله مطلع عليهم، عالم بنيتهم، خبير بما في صدورهم، فأمنوا مكر الله، وظنوا أنهم قادرون بتدبيرهم وقوتهم وقدرتهم على فعل ما عزموا عليه، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٩) .

قال السعدي:"هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وَجِلًا أن يبتلي ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لايزال داعيًا: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن ، فإن العبد – ولو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة"[1] .

فكل من لم يخف عقوبة الله تعالى، ونزول العذاب به في الدنيا أو في الآخرة، فذلك الذي أمن مكر الله، فيحمله ذلك على فعل المعصية والإقامة على الذنب، فلا يلتفت للتوبة أو الإنابة.

وأصحاب الجنة خططوا وعزموا مع غاية الإطمئنان وانتفاء الخوف، والثقة من القدرة على إنفاذ ما عزموا عليه، ولم يأمنوا مكر الله وعقابه، فمكر الله بهم من حيث لا يعلمون.

فلا يغتر الإنسان بالنعمة والفضل والخير، ويظن أن ذلك إكرام من الله تعالى له، فيأمن مكر الله وينسى عقابه، بل قد يكون ذلك الفضل والخير استدراجًا بالنعمة كما قال

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٦١).

سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ (المؤمنون : ٥٥-٥٦) .

قال ابن كثير:" أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ ﴾ (سبا (١٣٥)، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً، ولهذا قال : ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥ ﴾ (التوبة: ٥٥)" [(١)].

وفي الحديث: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج"[(٢)].

فالواجب على المؤمن أن تكون حاله بين الخوف من الله تعالى والرجاء فيه والرغبة إليه، فلا يغلب جانب الرجاء حتى يأمن مكر الله، وفي المقابل لا يغلب جانب الخوف حتى يقنط من رحمة الله وييأس من فضله، بل يكون حسن الظن بربه مع امتثال أمره واجتناب نهيه.

دلت القصة على أن من الذنوب ما يوجب تعجيل العقوبة لصاحبه في الدنيا، والأصل في العقوبات الآلهية التأجيل، فيعاقب الله تعالى المذنب على معاصيه يوم الحساب كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ۝٤٥ ﴾ (فاطر : ٤٥)، لكن من الذنوب ما يعجل سبحانه مؤاخذة صاحبها في الدنيا قبل الآخرة بأنواع العقاب المختلفة، لحكمةٍ آلهية، ومن تلك الذنوب: الظلم وهضم الحقوق، كما وقع هنا في القصة من ظلم المساكين وهضمهم حقهم، فكان ذلك موجبًا لنزول العقاب الدنيوي بأصحاب الجنة، وفي الحديث:"بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا، البغي وقطيعة الرحم"[(٣)].

وقد يكون في تعجيل العقوبة إرادة الخير بالعبد كما قال ﷺ: "إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة في الدنيا " [(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٣) .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، انظر: المستدرك للحاكم (ج ٤ ص ١٥٦)، في كتاب البر والصلة: عن أبي بكر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: كل الذنوب يؤخر الله ما شاء فيها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات، هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعقبه الذهبي، بأنه من رواية: بكار بن عبد العزيز وهو ضعيف.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء في الصبر على البلاء، حديث (٢٣٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٥٦٤/٢) .

فالعقوبة الدنيوية خير للعبد لأنها تكفر الذنب، ولأن عذاب الدنيا مهما بلغ فهو أهون من عذاب الآخرة ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (طه : ١٢٧)، وقال ﷺ:"إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة "(١)

ولعل في تعجيل العقوبة تصحيح لمسيرة الإنسان بإحياء ضميره واستثارة عقله إلى ماينفعه، فيكون ذلك خيرًا له، فيتوب وينيب ويرجع ويصير حاله بعد نزول العقاب أفضل من حاله قبله، كما حصل من أصحاب الجنة لما نزل العذاب بهم، فتابوا إلى الله و أنابوا، وعادوا. وقد نبه الله تعالى إلى هذه الحكمة في قوله:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأعراف : ٩٤).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، إما بماله أو بأهله، أو بنفسه، أو بأحدٍ ممن يتصل به، المهم أن تعجل له العقوبة، لأن العقوبات تكفر السيئات، فإذا تعجلت العقوبة وكفر الله بها عن العبد، فإنه يوافي الله وليس عليه ذنب ... لكن إذا أراد الله بعبده الشر، أمهل له واستدرجه وأدر عليه النعم، ودفع عنه النقم، حتى يبطر ويفرح فرحًا مذمومًا بما أنعم الله به عليه، وحينئذٍ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته فيعاقب بها في الآخرة نسأل الله العافية "(٢).

ولكن ليس ذلك عامًا في جميع الذنوب، بل من الآثام ما تجتمع فيه العقوبتان في الدنيا والآخرة، ولا تسقط عقوبة الآخرة إلاّ بمشيئة الله تعالى ورحمته وعفوه، كما في حديث:"مامن ذنبٍ أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم" (٣).

وليس معنى ذلك أن يتمنى الإنسان العقاب أو نزول البلاء، أو يدعو الله بذلك، لأن ذلك فعل الكفار، كما قال سبحانه وتعالى حكاية عنهم : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾(الأنفال:٣٢).

بل يرجو رحمة الله ويطمع في عفوه وفضله في الدارين، كما في حديث أنسؓ أن رسول ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خَفَت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ : (هل كنت تدعو بشيءٍ أو تسأله إياه ؟) قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعَجّله لي في الدنيا، فقال رسول ﷺ: "سبحان الله، لا تطيقه، أو تستطيعه، أفلا

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث (١٤٩٣).
(٢) شرح رياض الصالحين (٢٥٨/١).
(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٦٠٨/٢).

قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" قال: فدعا الله له، فشفاه[1].

فمن عاجلته عقوبته في الدنيا كان ذلك خيرًا له باستعتابه وتوبته كما تاب أصحاب الجنة، ومن لم يُعاقب في الدنيا مع استكباره وظلمه فإنما ذلك استدراج من الله تعالى وإمداد له في غيه ليكون عذابه في الآخرة أشد وأنكى.

دلت القصة على أن للمساكين حقًا في أموال الأغنياء وأن منع هذا الحق موجب للعقاب، فهم قصدوا منع المساكين من خير الجنة وثمرها، وحرمانهم حقهم فيها، والذي كان يخصهم به الأب، فعاقبهم الله تعالى بنزول العذاب بجنتهم، وقد أوجب الله تعالى للمساكين حقًا على الأغنياء وحث على رعايتهم والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (الإسراء: ٢٦).

قال السعدي:"(والمسكين) آته حقه من الزكاة ومن غيرها لتزول مسكنته"[2]، وقد ذهب جماعة من المفسرين منهم الشعبي والحسن وطاووس وعطاء وغيرهم في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾(المعارج :٢٤-٢٥)، أن في المال حقًا سوى الزكاة من فك الأسير وإطعام المضطر والمواساة وصلة القرابة والإحسان للمحتاج، وعلى ذلك فللمسكين حق في مال الغني، وهو فرض كفاية على المسلمين[3].

وقد ندد الله تعالى بمن منع حق المسكين ونبه إلى أنه من أسباب العذاب فقال: (حكاية عن أهل النار: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المدثر : ٤٤)، وقال في وصف الكفار:﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

دلت القصة على سوء عاقبة التواصي بالإثم والتعاون على المعصية، فقد تواصى أصحاب الجنة وتعاهدوا وأقسموا على منع الحق والفضل، والاستئثار بالنعمة والمال، فأنزل الله بهم العقاب، وأحرق جنتهم، وأذهب مالهم.

والتواصي بالإثم والعدوان مخالف لأوامر الشرع ومقاصده العظمى، والتي جاءت تحث على التعاون في البر والطاعة والتواصي بالخير والتقوى، قال تعالى﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المائدة :٢).

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، حديث (٢٦٨٨) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٨) .
(٣) انظر شرح صحيح مسلم، للنووي (٧ / ٧١) .

فهذا أمرٌ من الله تعالى لعباده بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، ونهيٌ لهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم(١).

قال السعدي:" كل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك ..... وكل معصية وظلم، يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه "(٢).

ومن أعظم صفات أهل الإيمان التواصي بالخير والبر والطاعة والالتزام وأداء الفرائض، والتحذير من الشر والتناهي عنه، قال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر:٣)، وقال تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة :٧١).

دلت القصة على شؤم المعصية وأن الذنوب أعظم أسباب زوال النعم وحلول النقم، وهي محق للبركة في كل شيء، ومن جزائها العاجل، أن يحرم الإنسان رزقه بسببها، كما حصل لأصحاب الجنة، وقد أدركوا ذلك بقولهم: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾.

وكم من أمة كانت في سعة رزق ورغد عيش وسلامة في الأبدان وأمن في الأوطان، فعصت الله تعالى، فحل بها العقاب، ونزل بها العذاب، وتبدلت بهم الأحوال وزالت عنها النعم، وصار عيشهم ضيقاً وضنكاً، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل :١١٢) .

فسبب مافيه الكثير من الضنك والضيق وتعَسر الرزق هو الذنوب والمعاصي، ولذا كان الإيمان والطاعة والاستغفار سبب للرزق والبركة كما قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف :٩٦) .

فالذنوب والمعاصي من أسباب زوال النعم وحرمان الرزق ومحق البركات، وفي مقابل ذلك فإن التقوى والامتثال والطاعة والاستغفار من أسباب الرزق والخير والبركة.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٣).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٨٢).

دلت القصة على وجوب الثبات على الحق وإن كثر المخالفون، وإن أعرضوا ولم يستجيبوا للوعظ، فلا يغتر الإنسان بهذه الكثرة، فيحمله ذلك على مجاراة أهل السوء والانخراط معهم في الذنب وموافقتهم في المعصية، كما فعل الأخ الأوسط من أصحاب الجنة، فقد كان أفضلهم وأعقلهم، وكان مخالفاً لرأيهم، وقد وعظهم وذكرهم ، فزجروه وغلبوه ولم ينقادوا له، فوافقهم ومضى معهم في فعلتهم، ولم يُصر ويدافع عن الحق الذي يؤمن به ويعتقده، فكان مشمولًا بالحرمان معهم، شريكًا لهم في العذاب.

فلا تكفى مجرد المخالفة في الرأي والمعتقد لأهل السوء والضلال، بل لابد من مفارقتهم وعدم مشاركتهم ومجالستهم .

ودلت القصة على قبح صفة البخل والشح، فهي صفة تمنع صاحبها من نفع الآخرين ومساعدتهم والبذل لهم والإحسان إليهم.

والبخل من الصفات المذمومة والتي ذمها الله تعالى في كتابه، وذمها رسوله ﷺ . قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ ﴾ (آل عمران ١٨٠:).

قال السعدي:" أي: ولا يظن الذين يبخلون، أي: الذين يمنعون ماعندهم مما أتاهم الله من فضله من المال أو الجاه أو العلم وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل مالا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضنوا به، على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم" (١).

وفي الحديث أن النبي ﷺ كان يقول: " اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال" (٢).

قال الماوردي:"الحرص والشح أصل لكل ذم، وسببٌ لكل لوم، لأن الشح يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق "(٣) .

وأعظم ما يورث البخل والشح هو ضعف الإيمان، وسوء الظن بالله تعالى في أنه يخلف على المنفق ويعوضه بخيرٍ مما أنفق، والافتتان بالمال والتعلق به، أو الخوف من الفقر والحاجة على النفس والأبناء، فأصحاب الجنة بخلوا ومنعوا المساكين حقهم خوفًا من الفقر وكثرة العيال، ولو أحسن المرء الظن بربه، وأخلص نيته في كل نفقة ينفقها، مبتغيًا بذلك وجه الله تعالى، وعلم أن رزقه ورزق ولده مكتوب، وتأمل فيما ورد في ذم

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٢٥) .
(٢) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال، حديث (٦٣٦٣) .
(٣) أدب الدنيا والدين (٢٢٤) .

البخل والشح، لما اتصف بهذا الخلق الذميم، ولا انشغل به عمَا خلقه الله من أجله من العبادة و الطاعة .

دلت القصة على أن الرجوع إلى الله تعالى مقصد من المقاصد (نزول البلاء والمصائب)، فإن المصائب والابتلاءات تُرجع العبد إلى ربه، وتكشف له ضعفه وعجزه وفقره، وقله حيلته، وحاجته إلى خالقه عز وجل، كما رجع أصحاب الجنة لما رأوا العذاب قد نزل بجنتهم.

والرجوع إلى الله تعالى من الأسباب النافعة والتي ترفع البلاء إذا حل ونزل، مهما كان حال العبد من البعد والمعصية. قال تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (الأعراف :١٦٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الزخرف :٤٨)، وقال عز وجل: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (السجدة :٢١).

والمعنى أنه سبحانه قدّر ما قدّر على الخلق من الحسنات والسيئات، ليرجع الناس إلى الله تعالى ويعرفوا الحق، ويسارعوا بالامتثال، ويبادروا بالتوبة من المعاصي .

دلت القصة على أن الاعتراف بالذنب والإقرار بالمعصية من أسباب قبول التوبة، ورفع البلاء، فقد اعترف أصحاب الجنة بذنبهم وأقروا بمعصيتهم، ثم تابوا وأنابوا ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ثم أكدوا هذا الاعتراف بقولهم :﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ والإقرار بالذنب مطلب في التوبة، قال تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٠٢) ، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وفي الحديث: " فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب، تاب الله عليه"(١).

قال ابن القيم: "لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عاقبته أولًا وآخرًا "(٢) .

والاعتراف بالذنب لا يعني أن يفضح الإنسان نفسه، أو يعلن عن معصيته وذنبه للناس، إنما يكون الاعتراف والإقرار بينه وبين ربه الذي يقبل العذر ويغفر الذنب ويستر على العبد(٣)، وفي الحديث:" اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "(٤) .

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، حديث (٢٧٧٠) .
(٢) مدارج السالكين (١ / ١٩٧) .
(٣) إلا إذا اقتضت المصلحة الاعتراف لشخص، كاستفتاء العالم .
(٤) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث (٦٣٢٦).

دلت القصة على فضل الرغبة إلى الله تعالى وحسن الظن به ، وأن سؤاله وطلبه سبحانه من أسباب العطايا والرزق، فأصحاب الجنة رجعوا واعترفوا بذنبهم وتابوا، ورغبوا إلى الله عزوجل، وطمعوا فيما عنده من الخير والفضل، وأحسنوا ظنهم بربهم فقالوا: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾فأتاهم الله تعالى خيرًا مما أخذ منهم، وأبدلهم بجنتهم جنة أخرى.

حملت القصة رسالة تهديد عظيم من رب العالمين، لكل من خالف أمره، وتعدى حدوده، وعصى رسوله، وخالف واتبع هوى نفسه ولم يمتثل الأوامر، وينزجر عن النواهي، بأن يكون عذابه مثل هذا العذاب الشديد الذي نزل بأصحاب الجنة ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ ﴾، مع مافي الآخرة من العذاب الأشد والأقوى والأبقى ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾، ومهما بلغ عذاب الدنيا فإن عذاب الآخرة أكبر، فإن كان هذا العذاب الدنيوي قد أذهب جنتهم، لكن بقيت لهم أنفسهم وأزواجهم وأولادهم، وباقي أموالهم ونعمهم، لكن عذاب الآخرة أكبر، لأنه يذهب بهذا كله فلا يُبقي لهم شيئًا. وشتان بين عذاب الدنيا وخسارتها والتي يمكن تداركها وتعويضها، وبين خسارة الآخرة الدائمة والقوية والأبدية.

دلت القصة على أن تعظيم الله تعالى باستشعار قدرته، وإدراك شدة عذابه وعقابه، ومعرفة عاقبة المعاصي موجب للانزجار عن كل سبب يوجب العذاب ويحل العقاب ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۘ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ، وهو من أسباب التوبة والإنابة والرجوع. ومثله العلم بأحكام الشريعة وعقوبات التعدي على حدود الله كفيل بردع الإنسان عن كل موجبات العقاب.

دلت القصة على أن التلاوم والمعاتبة شأن كل من اجتمع على الشر والمعاصي، وإن أظهروا الود والخير وتظاهروا بالمحبة والصدق، فسرعان ما ينقلب الأمر ويتغير الحال، وتتبدل المحبة لتصير عداوة، ويتنصل كل شريك من التبعة، عندما تسوء العاقبة فيتوجه باللوم إلى الآخرين، فها هم أصحاب الجنة كذلك يفعلون وهم أخوه كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾، فهذا حال المجتمعين على الشر، التلاوم والعتاب في الدنيا، والآخرة، إن لم يتوبوا ويرجعوا.

❁ **دلت القصة على أن إصلاح العمل بعد التوبة من أسباب قبولها** ورفع العقوبة ورفع العذاب، فقد جاء في خبر أصحاب الجنة، أنهم عاهدوا الله لئن تاب عليهم، ليصنعوا كما صنع والدهم، من الإحسان للمساكين وأداء حق الفقير، فأبدلهم الله خيرًا منها، فأدوا ما عاهدوا الله عليه.

دلت القصة على أن صلاح الآباء يحفظ الله تعالى به الأبناء، فأصحاب الجنة كان أبوهم صالحًا، وذا سيرةٍ حسنة، لكنهم ضلوا وعصوا ثم وفقهم الله للتوبة والإنابة ويسرهم للعمل الصالح كما كان شأن الأب.

والواقع أن أغلب جهد الآباء هو محاولة إصلاح الأبناء وجعلهم صالحين مصلحين لأمتهم ودينهم ومجتمعهم، لكن يتفاوت الآباء في تحقيق ذلك الهدف، والبعض يركن للأسباب المادية الظاهرة أكثر من غيره من الأسباب الخفية والحقيقية، والتي أرشد الله إليها في قوله: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾ (الكهف ٨٢). فهذه قاعدة ربانية، تبين أن أعظم مايُحفظ به الأبناء في حياة الآباء وبعد مماتهم هو الصلاح والتقوى الخوف من الله تعالى.

قال ابن الكثير: "فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة...قال ابن عباس : حفظًا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحًا"(١)، قال السعدي:"حفظهما الله بصلاح والدهما "(٢) .

فالقرب من الله تعالى له عظيم الأثر في حفظ وصلاح الأبناء، وقد يغفل عن هذا السبب الكثير، وقد يستهين به البعض، فيُقدم عليه الأسباب والوسائل المادية، أو يُقدم النصائح والقواعد التربوية، مع إغفال هذا السبب الأعظم.

وفي المقابل فإن الآباء قد يحرمون صلاح أبنائهم بسبب إثم أو قطيعة، فتربية الأبناء وصلاحهم وحفظهم لا يقتصر على التلقين والتعليم والعطاء والبذل في الجهد والمال، إنما هناك أسباب عظيمة يقوم بها الآباء تكون سببًا في الصلاح والحفظ بإذن الله، ألا وهي الإيمان والطاعة والصلاح والامتثال والاستقامة.

ولذلك كان سعيد بن المسبب يقول: "إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي "(٣).

من الآداب والهدايات التي أرشدت إليها القصة وجوب حُسن تربية الأبناء وتعويدهم على الخير والصلاح، وعدم الاكتفاء بصلاح الآباء، بل يُربي الأولاد على الطاعة والخير والصلاح والامتثال لله ورسوله، فقد كان الأب صالحًا، وقد عصى الأبناء وخالفوا من بعده، فحريٌ بالإنسان، بل هو واجب اقتضته الشريعة، أن يُعود ويربي أولاده على الصلاح ويجاهد في ذلك ويبذل الأسباب ويسأل الله تعالى لهم التوفيق والهداية.

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٧) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٢) .
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٢١١).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦)

فالواجب على المسلم أن يصلح نفسه أولًا ويقيها شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه إلى إصلاح من يعول .

قال السعدي:"فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيِّعوا، فيستحقوا بذلك الوعد والعقاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتربيتهم وإجبارهم على أمر الله "[1].

فصاحب الهمة العالية هو الذي يقي نفسه وأهله من العذاب، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات، فالمسلم الواجب عليه أن يصلح نفسه أولًا، ويقي نفسه شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه ثانيًا إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف، ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم والفضائل الإسلامية العليا، بهذا يكون وقى أهله من النار[2].

والأنبياء قدوة الناس جميعًا أعظم من سعى في إصلاح أبنائهم وتعليمهم كما قص لنا القرآن عن إبراهيم ولقمان .

دلت القصة على القاعدة العظيمة: الجزاء من جنس العمل، فقد اقتضت حكمة الله تعالى وسنته أن يجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن :٦٠)، وقال سبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (يونس :٢٦).

فجزاء العامل من جنس عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر ﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (النبأ :٢٦)، وقد أكدت القصة على هذه القاعدة، حيث عزم أصحاب الجنة على حرمان المساكين ومنعهم من خير الجنة وثمرها، فحرمهم الله تعالى جنتهم بما فيها من الثمر والزرع والخير والفضل. وإدراك هذه القاعدة العظيمة يدفع للطاعة، وينهى عن المعصية، ويزجر عن الظلم، ويمنع من الإثم، فقد تاب أصحاب الجنة واعترفوا بذنبهم، وأبدلوا معصيتهم بالطاعة، فأبدلهم الله خيرًا من جنتهم .

دلت القصة على أن من فرَّ من وجوب الزكاة بالحيلة كتبديل أو خلط، فإن الزكاة لا تسقط عنه، ووجه ذلك من القصة، أنهم لما قصدوا بقطع الثمار إسقاط حق المسكين، عاقبهم الله بإتلاف الثمار. وهذا هو الراجح في المسألة وهو قول جمهور الفقهاء [3].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٠٩) .

(٢) التفسير الواضح (٣/ ٧٠٥) .

(٣) انظر: تفسير القاسمي (١٦٢/٧)، وتفصيل المسألة في مجلة البحوث الإسلامية، التابعة للرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (٢١٨/٨٦-٢٢٦) . العدد السادس والثمانون، الإصدار من ذي القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٩-١٤٣٠هـ .

قال القرطبي:" أجمع العلماء على أن للرجل قبل حلول الحول التصرف في ماله بالبيع والهبة، إذا لم ينو الفرار من الصدقة، وأجمعوا على أنه إذا حال الحول وأظل الساعي أنه لا يحل له التحيل والنقصان" (١).

إذا تقرر ذلك عُلم أنه لا ينبغي لمن عنده أدنى عقل ومروءة ودين أن يرتكب شيئًا من الحيل التي تكون سببًا للخزي في الدنيا والآخرة، وربما قصد الغافل المغرور بها توفير ماله وتنميته ويكون سببًا لمحقه وزواله عن قرب أو عدم البركة فيه، فلا ينفع به هو ولا ذريته(٢).

دلت القصة على كراهة الجذاذ وحصد الثمار بالليل، وقد روى أنه نُهى عن الحصاد في الليل، كما في الحديث:" أن النبي ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل"(٣)

وليس ذلك لأنه الجذاذ في الليل في ذاته محرم، لكن قيل: لأجل الفقراء حتى لا يذهب نصيبهم وهم نائمون، فينقطع عنهم مافي ذلك من الرفق. وقيل: إنما ذلك خشية الحيات وهوام الأرض.

قال القرطبي:"والأول أصح، والثاني حسن، وإنما قلت الأول أصح، لأن العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى"(٤).

فالجذاذ بالليل فيه إخفاء للمحصول عن المساكين ، والحصاد بالنهار يمكنهم من أخذ حقهم.

دلت القصة على أن من حصد زرعًا أوجدّ ثمره عليه أن يواسي منه من حضره(٥)، وذلك معنى قوله : ﴿ **وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ** ﴾ الأنفال (١٤١) .

والمراد بالحق من الآية، حق آخر غير الزكاة، ويُقصد به ما تُصدق به على المساكين يوم الحصاد، وهو حق مستحب، فيستحب لصاحب الثمر والزرع أن يعطي من محصوله يوم الحصاد والجذاذ، للفقراء والمساكين وما تجود به نفسه.

عن ابن عمر ﷺ في قوله :﴿ **وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ** ﴾ قال: "كانوا يعطون شيئًا غير الزكاة"(٦) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٩) .
(٢) انظر: فتاوى ابن حجر الهيثمي (٢٤١/٥).
(٣) رواه البيهقي في السنن (٧٧٦٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٣٩٣).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٥٦).
(٥) المصدر السابق .
(٦) رواه الطبري، جامع البيان (٥ / ٣٦٥) .

وعند عطاء:"يُعطى من حضره يومئذٍ ما تيسر، وليس بالزكاة"[١]، وقال مجاهد:"إذا حضرك المساكين، طرحت لهم منه"[٢]، وعند سعيد قال:"هو ما سقط من السنبل" [٣]، قال ابن حزم: "هو حق غير الزكاة، وهو أن يُعطي الحاصد حين الحصد ماطابت به نفسه، ولابد، ولا حدّ في ذلك، هذا ظاهر الآية، وهو قول طائفة من السلف"[٤].

وهو اختيار أكثر المفسرين، وضعفوا كون المراد بالحق الزكاة، لأن الآية مكية وإنما فُرضت الزكاة في المدينة .

وقيل: كان ذلك واجبًا ثم نُسخ بالعشر ونصف العشر، واختاره ابن جرير، وعليه يكون الأمر للندب[٥] .

دلت القصة على سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء سبحانه، فقد كانوا يتسارون فيما بينهم بصوت خفي، ويسترون أمرهم حتى لا يعلم بهم أحد، فكشفهم عالم الغيب والشهادة، السميع العليم البصير، الذي أحاط علمه بكل شيء سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾ ﴾ (يونس :٦١) .

وقال :﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام : ٥٩).

ولا يخفى عليه سبحانه من أمر الإنسان شيء، بل يعلم ما استكن في أعماق نفسه، وما جال في صدره، ويعلم سره وجهره، بل السر عنده علانية فهو العالم سبحانه بالسرائر والضمائر، قال تعالى:﴿ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾ (الأنعام : ٣)، ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ (الرعد : ١٠)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

دلت القصة على خطورة الظلم وهضم الحقوق، فالظالم محروم من الفلاح والخير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام: ٢١)، وهو عرضه للعذاب الدنيوي مع ما يدخره الله تعالى له في الآخرة من الوعيد والعقاب، قال سبحانه:

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المحلى بالآثار (٤/٢١) .
(٥) انظر: جامع البيان (٥/ ٣٦٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٢١٣).

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (الزخرف : ٦٥)، وهدده سبحانه بقوله: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾، والظالم مبعد مطرود من رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود : ١٨)، ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون : ٤١). ولكل ظالم حظ من هذه الآيات بقدر ظلمه وتعديه وتجاوزه على نفسه أو على ربه أو على الآخرين.

دلت القصة على تنزيه الله تعالى عن الظلم، وأنه لا يعاقب إلا المجرم المستحق للعقوبة، فكل ما يحل بالناس من العذاب والعقاب في الدنيا والآخرة، إنما هو بسبب ما اجترحه أيديهم وما اقترفوه على أنفسهم من الإثم والذنب والمعاصي، لذلك اعترف أصحاب الجنة بظلمهم أنفسهم لما نزل العذاب بساحتهم.

دلت القصة على أن فتنة المال من الفتن العظيمة والقديمة، التي يبتلى بها الناس، وقلّ من يصبر عليها، وينجو منها ويجتازها، فالأب واحد، والأبناء جمع لكنهم سقطوا في الفتنة.

فالمال فتنة؛ لأن الإنسان ينشغل به عن الآخرة، وهو سبب الوقوع في الذنوب والمعاصي، كما حصل لأصحاب الجنة، إضافة إلى أنه من أعظم أنواع الابتلاء والاختبار والتمحيص للعبد، ولذا وصفه الله بأنه فتنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن : ١٥).

اشتملت الآيات على تحذير لكل صاحب نعمة بأنه مبتلى، فهذه القصة مثلٌ ضربه الله تعالى لكفار قريش، ويصدق على كل إنسان، أعطاه الله نعمًا من المال أو الولد أو الصحة أو العمر أو القدرة .. أو غيرها، ثم حمله ذلك على الأشر والبطر والبخل ومعصية الله تعالى ومحاربته، والفرار من أداء الحق، فإن عذاب الله له بالمرصاد، فيمحق الله النعمة، ويسلبها من صاحبها في الدنيا، مع ما ينتظره من عقاب يوم القيامة وعذابه الشديد.

دلت القصة على أن من أعظم الظلم، ظلم الإنسان لنفسه بالمعصية ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أي: لأنفسنا لما عزمنا على معصية الله تعالى، واغتررنا بقوتنا وقدرتنا وتمكننا ونسينا قدرة الله علينا، وغفلنا عن قدر عذابه وعقابه لمن خالفه وعصاه.

دلت الآيات على أن من بَعُد عن الله تعالى وضل عن الحق واتبع هوى نفسه ووسواس شيطانه، صار إلى الضيق والحرمان والبعد والضياع، ولعل هذا يجعله يدرك حقيقة خطأه، فيبدأ في البحث عن الطريق الصحيح والصراط المستقيم وهنا تنفعه

الموعظة، كما فعل الأوسط لما أصابهم عذاب الله، فذكرهم بالحق، وحملهم المسؤولية، وأرشدهم إلى العلاج.

دلت الآيات على أن خير الناس وأمثلهم طريقًا ومسلكًا، هو أعدلهم، وأوسطهم، الآمر بالخير والمعروف، المذكر بالله تعالى.

دلت القصة على أن الرجوع إلى الحق والإقرار بالخطأ خيرٌ من الإصرار والتمادي في الباطل، فأصحاب الجنة ظنوا أنهم ضلوا الطريق إلى جنتهم، ثم لما تيقنوا رجعوا وقالوا: بل نحن محرومون.

دلت القصة على أن الإنسان ضعيف القوة والتدبر والرأي، فقد أحكم أصحاب الجنة الخطة، وعزموا على الهرم، وخرجوا في الصباح الباكر، وذهبوا وهم جادين قاصدين مسرعين، متسارين، يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد، ففوجئوا بتدمير الله وإحراقه الحرث وإتلافه الزرع والثمر(١).

دلت القصة على حرص الشرع على تعزيز مبدأ التكافل والتعاون بين أفراد الأمة، وجعله فريضة يجب القيام بها، ويعاقب من فرط فيها أو أهملها.

المؤمن الفطن يعتبر بالآخرين، سواءً السابقين أو المعاصرين له، وهذا هو الهدف من القصص القرآني، فقصة أصحاب الجنة يعرضها الوحي، لتكون أحداثها ودروسها موعظةً وعبرة للإنسانية جمعاء.

القرآن في عرضه لهذه القصة لم يكررها كما هو شأن بعض قصص القرآن، ولم يحدد موقعها، ولا أنواع ثمر البستان، ولا الأشخاص وعددهم، لأن هذه الأمور ليست ذات أهمية، إنما الأهم هو الاتعاظ والاعتبار والاستفادة من القصة، لذا عرض مواقفهم وأفعالهم، فصور عزمهم، وتآمرهم، وموقفهم، ثم اعترافهم وندمهم، ثم توبتهم ورغبتهم إلى الله تعالى.

دلت القصة على أن الحرمان الحقيقي ليس بذهاب المال أو فقدان الجاه، بل هو قلة الإيمان ومعرفة الله، والتعدي على حدوده، والتعرض لعقابه، لذلك كان ما حصل لجنتهم بمثابة صدمة قوية أيقظتهم من الغفلة والضلال، ليبدأوا مشوار التوبة والرجوع، وكانت البداية بالاعتراف بالخطأ والإقرار به.

من فوائد القصص التحذير مما عليه العبد من الذنب أو المعصية، فقصة أصحاب الجنة حذر الله تعالى بها كفار قريش، من عاقبة ماهم عليه من الشرك والضلال

(١) انظر: التفسير المنير (٢٩/٦٣).

والكفر والعناد والجحود والتكذيب، كأنه يقول: يا أهل قريش مثل ما جَـرَى العـذاب على أصحاب الجنة، سيجري عليكم.

دلت القصة على أنه حريٌ بالمؤمن أن يراقـب نفـسه ويحاسـبها، كمـا قـال سـبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ (الحشر:١٨)، والمراقبة تكون للأفكار والخواطر خشية أن يُؤاخـذ بهـا الإنسان، وكذا مراقبة الأعمال، قبل الهمّ بها وأثناء القيام بها وبعد الانتهـاء منهـا، فـإن كانت طاعة ومرضاة لله تعالى أمضاها وأحسن فيها، وإن كانت شـر ومعـصية توقـف عنها وأبدلها بخيرٍ منها.

الخاتمة:

أولًا: النتائج.

تتلخص أبرز نتائج البحث في النقاط الآتية:

١ــ أن القصة في القرآن أسلوب دعوة ووسيلة إصلاح للعقائد والقلوب والأعمال والأخلاق.

٢ــ قصة أصحاب الجنة رغم إيجازها بقصر آياتها، إلا أنها حوت معاني ذات دلالات كثيرة وعظيمة.

٣ــ روعة الوصف والتصوير لأحداث القصة ومشاهدها ومواقف أصحابها، يحقق التفاعل والتعايش مع القصة، وكأن القاريء فرد منها.

٤ــ من سنن الله تعالى في خلقه الابتلاء، تمحيصًا وتمييزًا للمؤمن الصادق من الكافر الجاد المكذب، والابتلاء يكون بالخير والشر، وخطره أعظم حين يكون بالنعمة والفضل.

٥ــ نبهت القصة إلى أهمية الشكر وفضله في حفظ النعمة ودوامها، وفي المقابل حذرت من جحد النعمة وكفرها بمنع حق الله تعالى فيها.

٦ــ بينت القصة فضل الصدقة والإحسان والبذل والعطاء وأثرها على المال بالبركة والزيادة والنماء، وفي المقابل بينت قُبح البخل والشح ومنع الحقوق وأثرها على المال بالذهاب والإتلاف.

٧ــ العزم على المعصية مما يؤاخذ به الإنسان، حتى وإن لم يفعل، وإن كان عدم فعله عن عجزٍ وعدم قدرةٍ على مباشرة الفعل الذي عزم عليه.

٨ــ وجوب التأدب مع الله تعالى بالإستثناء فيما عزم عليه العبد من العمل في مستقبل زمانه.

٩ــ وجوب تعظيم الله تعالى ومراقبته واستشعار قدرته، والحذر من الأمن مكره سبحانه واستدراجه.

١٠ــ الحذر من الذنوب والمعاصي، فهي سبب فقد البركة وحرمان الرزق وتعجيل العقوبة في الدنيا، مع ما يكون لصاحبها من الوعيد الشديد يوم القيامة.

١١ــ الاعتراف بالذنب والإقرار بالمعصية والرغبة إلى الله وحسن الظن به مع إصلاح العمل، من أسباب قبول التوبة ورفع البلاء.

١٢ــ حرص الشرع على تعزيز مبدأ التكافل وتحقيق التعاون على البر والتقوى، والتحذير من التآمر على المعصية والتعاون على الإثم والعدوان.

١٣ــ صلاح الآباء من أعظم أسباب حفظ الأبناء بإذن الله تعالى.

١٤ــ سعة علم الله تعالى وإحاطته بخلقه وإطلاعه على مكنون صدورهم وسرهم وجهرهم.

١٥ــ فتنة المال من أعظم الفتن التي يبتلى بها الناس في كل زمان، وقلَّ من يصبر عليها وينجو من خطرها.

ثانيًا: التوصيات. يوصي البحث بما يأتي:

١ــ ضرورة النظر في كلام الله تعالى والرجوع لكلام المفسرين حول مافي القصص القرآني من العبر والدلائل والفوائد والأحكام، والاستفادة منها بما ينفع الأمة، لاسيما في هذا الزمان.

٢ــ الحث على الاهتمام بتدبر القرآن الكريم، عن طريق إقامة الحلقات التي تُعنى بذلك، سواء في المدارس أو الجامعات أو دور التحفيظ ومراكز الدراسات الإسلامية.

المصادر والمراجع:

١ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المعروف بـ (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود محمد العماري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢ــ أنوار التنزيل وإسرار التأويل، المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣ــ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونيسية، تونس، ١٩٨٤م.

٤ــ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٣هـ –١٩٩٣م.

٥ــ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى مراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٦ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط/١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٧ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم،محمد سيد الطنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١ /١٩٩٧م.

٨ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط/٥، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٩ــ جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٠ــ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى، تحقيق أحمد شاكؤ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١ــ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٥، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٢ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق: عبد البارئ علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٣م.

١٣ــ زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٤ــ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٥- صحيح البخاري،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.
١٦ــ صحيح سنن الترمذي، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢، ١٤٢٢هـــ- ٢٠٠٢م.
١٧ــ صحيح مسلم بشرح النووي، ليحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م.
١٨ــ صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م.
١٩ــ ضعيف سنن الترمذي، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢ ،١٤٢٢هـــ- ٢٠٠٢م.
٢٠ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، ١٤٢١هـــ- ٢٠٠٠م.
٢١ــ فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب علمية، بيروت، د.ت.
٢٢ــ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٣ــ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/٣ ، ١٤١٤هـــ - ١٩٩٤م.
٢٤ــ محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القتسمي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/١ ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٤م.
٢٥ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م.
٢٦ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م.
٢٧ــ معالم التنزيل، لأبي محد الحسن بن سعود الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـــ - ٢٠٠٠م.
٢٨ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ونسنك، مطبعة بريل ، ليون، ١٩٦٢م.
٢٩ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط/١ ، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٦م.
٣٠ــ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.
٣١ــ مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١١هـــ - ١٩٩٠م.